148630 ـ هل يحدث كسوف الشمس والقمر بسبب عصيان أهل الأرض ؟

السؤال

هل صحيح أن الخسوف والكسوف هما إشارة على ازدياد الذنوب على الأرض؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

لا شك أن الشمس والقمران آيتان من آيات الله ، وخلقان عظيمان من خلقه ، مسخران في الكون بأمره ، لا يخرجان عن ذلك ، وما كان لهما الخروج عن أمر الله .
وإذا خرجا عن سنتهما المعتادة في الحركة أو الظهور ، فإنما ذلك بأمر الله تعالى الكوني النافذ ، وحكمته البالغة في كونه سبحانه ، والتي منها تخويف العباد ، وتذكيرهم بقدرته وسلطانه سبحانه.

روى البخاري (1041) ومسلم (911) – واللفظ له ـ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ ، وَإِنَّهُمَا لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئًا فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ حَتَّى يُكْشَفَ مَا بِكُمْ) .
وروى البخاري (1059) ومسلم (912) عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ : خَسَفَتْ الشَّمْسُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَزِعًا يَخْشَى أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى بِأَطْوَلِ قِيَامٍ وَرُكُوعٍ وَسُجُودٍ رَأَيْتُهُ قَطُّ يَفْعَلُهُ ، وَقَالَ : (هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللَّهُ لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ؛ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ).
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :
" قَوْله : (فَأَفْزَعُوا) : أَيْ اِلْتَجِئُوا وَتَوَجَّهُوا ، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى الْمُبَادَرَة إِلَى الْمَأْمُور بِهِ ، وَأَنَّ الِالْتِجَاء إِلَى اللَّه عِنْد الْمَخَاوِف بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَار سَبَب لِمَحْوِ مَا فرطَ مِنْ الْعِصْيَان ؛ يُرْجَى بِهِ زَوَال الْمَخَاوِف ، وَأَنَّ الذُّنُوب سَبَب لِلْبَلَايَا وَالْعُقُوبَات الْعَاجِلَة وَالْآجِلَة " انتهى من "فتح الباري" (2/534) .
وقال أيضاً :
" فِيهِ النَّدْب إِلَى الِاسْتِغْفَار عِنْد الْكُسُوف وَغَيْره لِأَنَّهُ مِمَّا يُدْفَع بِهِ الْبَلَاء " انتهى من "فتح الباري" (2/546) .
وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله :
" ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبر أن الكسوف والخسوف للشمس والقمر يقعان تخويفاً من الله لعباده ، وحثاً لهم

على مراعاة هذه الآيات ، والخوف من الله عز وجل والفزع إلى ذكره وطاعته ، وأمر في ذلك بالتكبير والعتاقة والصدقة ، كل هذا مشروع عند الكسوف : الصلاة والذكر والاستغفار والصدقة والعتق والخوف من الله عز وجل والحذر من عذابه .

وكونها آية تُعرف بالحساب ، لا يمنع كونها تخويفاً من الله جل وعلا ، وأنها تحذير منه سبحانه وتعالى ، فإنه هو الذي أجرى الآيات ، وهو الذي رتب أسبابها كما تطلع الشمس وتغرب الشمس في أوقات معينة ، وهكذا القمر ، وهكذا النجوم ، وكلها آيات من آيات الله سبحانه وتعالى ، فكون الله جعل لها أسباباً كما ذكر الفلكيون ، يعرفون الخسوف بها ، لا يمنع من كونها تخويفاً وتحذيراً من الله عز وجل ، كما أن آياته المشاهدة من شمس وقمر ونجوم وحر وبرد ، كلها آيات فيها التخويف والتحذير من عصيان الله على هذه النعم ، وأن يحذروه وأن يخافوه وأن يخشوه سبحانه ، حتى يستقيموا على أمره ، وحتى يدعوا ما حرم عليهم " .

"مجموع فتاوى ابن باز" (30 / 289-290)

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" الكسوف إنذار من الله لعقوبة انعقدت أسبابها ، وليس هو عذاباً ، لكنه إنذار ، كما قال صلى الله عليه وسلم : (يخوف الله بهما عباده) ولم يقل : يعاقب الله بهما عباده ، بل هو تخويف ، ولا ندري ما وراء هذا التخويف ، قد تكون هناك عقوبات عاجلة أو آجلة في الأنفس أو الأموال أو الأولاد أو الأهل ، عقوبات عامة أو خاصة ، ما ندري ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : (إذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله) ما قال : قوموا ، وما قال : صلوا ، اذكروا الله ، ولكن قال : افزعوا ، افزعوا إلى ذكر الله واستغفاره ، وكبروا وتصدقوا وصلوا وأعتقوا ، كل هذه أشياء تدل على عظم هذا الكسوف .

والكسوف له سببان : السبب الأول : التخويف : تخويف العباد إذا كثرت الذنوب ، ورانت المعاصي على القلوب ، نسأل الله العافية .

والسبب الثاني : كوني قدري : وهو ما يذكره الناس من أن سبب الكسوف حيلولة القمر بين الشمس والأرض ، وسبب الخسوف حيلولة الأرض بين الشمس والقمر ، ولا يمتنع أن يجعل الله عز وجل أسباباً طبيعية لتخويف العباد " انتهى .

"لقاء الباب المفتوح" ـ (15 / 4-5)

وينظر جواب السؤال رقم : (5901) .

والله تعالى أعلم .